الإعجاز البياني في القرآن الكريم [دراسة لغوية أسلوبية في سورة "الحجر" نموذجاً]

الأستاذ المساعد الدكتور
سميه حسنعليان
جمهورية إيران الإسلامية
جامعة إصفهان – كلية اللغات الأجنبية
shassanalian@yahoo.com

The Miraculous Graph in the Holy Quran [A Stylistic Linguistic Study in Surat (Al-Haja)

Assistant Professor Dr
Samia Hassenalian
Islamic Republic of Iran
Isfahan University - Faculty of Foreign Languages
shassanalian@yahoo.com

الملخص:

لقد أولي العلماء عناية فائقة بالدراسات القرآنية منذ نزول القرآن الكريم وعملوا بدقة على كشف بعض أسرار هذا النص الكريم وجمالياته وهذا مايدل الباحث علي أنّ هذا القرآن كلام فني مقصود وُضع وضعاً دقيقاً ونُسج نسجاً محكماً فريداً.

وانسياقا مع هذا الموضوع استهدفت هذه الدراسة المتواضعة البحث في سورة «الحجر» مستخدمين المنهج الأسلوبي المتمحور حول معطيات علم اللغة العام . متناولين المستوي الصوتي والتركيبي ومستوي الصورة في هذه السورة .

الكلمات المفتاحية :

الأسلوبية - سورة (الحجر) - المستوي الصوتي - المستوي التركيبي - مستوي الصورة .

Abstract:

No doupt that the Scientists Paid attention to Holy Quran since coming off the Prophet (pbuh) and in Each of Their Researches Some of its Secrets and its Beauties is Discovered and These Researches Show The Scholars That the Quran is an art intended .

Therefore this research aims to study Sura Al- Hijr , using Stylistic Methodology Which Pivoted Data of General Linguistics, and deals with the the voice level, Syntax , and Images in this sura .

Keywords : Stylistic , Sura Al – Hijr , the voice level , Syntax , Images

المقدمة:

في الواقع إن البحوث القرآنية مهما تعددت وكثرت جوانبها فنحن في كلّ يوم نحتاج الى مزيد ومزيد من تلك الدراسات التي تكشف لنا يوما بعد آخر سراً من أسرار هذا الكتاب المقدس وتعرب لنا عن قوة بيانه ، وروعة إعجازه وسمو معانيه.

لقد تحدي الله تعالى بالقرآن أرباب الفصاحة من العرب أن يأتوا بمثله متدرّجا معهم في التحدي الى أن تحدّاهم بسورة واحدة من مثله .

إن أنواع الإعجاز في القرآن الكريم كثيرة ، فمنها اللغوي والعلمي والنفسي والعددي والغيبي وما الى ذلك من أنواع الإعجاز ، وقد عني العلماء من السلف والخلف في إطار خدمتهم للقرآن بإلتماس مظاهر الإعجاز اللغوي وأسراره علي أن الغالب علي تلك الجهود اعتناؤها بقسم منه وخاصة الجانب البلاغي أكثر من أنواع الإعجاز اللغوي الأخري لتشمل مستويات اللغة ، والعلم الذي يبحث عن هذه المستويات بأكملها وهو الذي يعرف بالأسلوبية.

إن الدراسات الأسلوبية من الدراسات التي تحتل مكانة عالية في دراسات علم اللغة حالياً وتعد من المناهج التي اعتمدت علي الدراسات اللغوية أساساً في تحليل النصوص ، وقد أثار ذلك عدة تساؤلات حول حقيقة الأسلوبية هل هي علم مستقل أم هي منهج ؟، وهذا أمر يصعب تحديده ، لأنّ نقاد العرب اختلفوا فيه ، فمنهم من اعتبرها علماً عاماً كعلم اللغة ، أو علم الكلام باعتبارها منضوية في علم اللسانيات أو فرع من فروع اللغة . (مصلوح ، ١٩٨٤م ، ص٢١٧) بينما رفض بعضهم وصف الأسلوبية بالعلم . (أبوديب ، ١٩٨٤م، ص٢١٩)

تتمثل مشكلة الدراسات النقدية الحديثة في تناولها الظاهري للنصوص ، واعتمادها على الظواهر الشكلية في معالجتها ، فالعملية النقدية للنص الأدبي لا تتوقف عند مرحلة شرح النص وتوضيح معناه العام والواقع أن تناول النص بهذه الطريقة يهبط بمستوي النصّ الى درجة يفقد فيها جمالياته المميزة له ، ووسائله التعبيرية الخاصة ، ومن هنا تبرز أهمية علم الأسلوب الحديث (Stylistics) في تجاوزه دور النقد السطحي في التعامل مع النصوص وتحليلها، وقد تميزت الدراسات الأسلوبية الحديثة بتناولها الناضج للنصوص، وقدرتها علي الكشف عن مواطن الجمال فيها ، مستفيدة من علم اللغة ودراساته العلمية التي تغذي الدراسات النقدية بحيث تتجاوز الجوانب الشكلية للنص والنقد الساذج الذي يقوم علي الشرح والتفسير ، وهكذا فإنّ الدراسة الأسلوبية الحديثة تفيدنا كثيراً في فهم النصّ الأدبي و«استكشاف ما فيه من جوانب جمالية، وذلك بما تتيح للدارس من قدرة علي التعامل مع الاستخدامات اللغوية، ودلالاتها في العمل الأدبي ، وبهذا التفاعل مع الخواص الأسلوبية المميزة المكتشفة بطريقة علمية سليمة ، تتضح مميزات النصّ وخواصه الفنية». (عودة، ١٩٩٤م، ص١٠٠)

منهج البحث:

ومن هنا يأتي اختيارنا للمنهج الأسلوبي وسيلة نستطيع من خلالها النفاذ الى عمق النص القرآني بما يحمله هذا المنهج من إمكانيات دراسية تحليلية عميقة ، نستطيع من خلالها أن نرصد جماليات النص.

ـ أهداف البحث:

أما أهداف البحث فهي: دراسة المستويات المختلفة اللغوية في سورة من سور القرآن الكريم كنص وكشف العلاقات اللغوية المختلفة بينها.

ـ الدراسات السابقة:

أما بالنسبة الى الدراسات السابقة لهذا الموضوع فهناك دراسات أسلوبية و لغوية مختلفة في بعض سور القرآن الكريم، منها:

- رسالة جامعية بعنوان: «السجع القرآني دراسة أسلوبية» بحث مقدم لنيل درجة الماجستير لهدي عطية عبد الغفار، بجامعة عين شمس لعام ٢٠٠١م.
- رسالة جامعية بعنوان: «تحولات بني الخطاب القرآني في مشاهد القيامة والقص دراسة أسلوبية» وهو بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه بجامعة بغداد لطالبة بلقيس كولي محمد الخفاجي، عام ٢٠٠٥م.
- رسالة جامعية بعنوان: «جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية دراسة أسلوبية» بجامعة النجاح الوطنية للباحثة نور هاني محمد سمحان، عام ٢٠٠٩م.
- رسالة جامعية بعنوان: «دراسة أسلوبية في سورة الكهف»، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير بجامعة النجاح الوطنية للباحث مروان محمد سعيد عبد الرحمن، عام ٢٠٠٦م.
- رسالة جامعية بعنوان: «ظواهر أسلوبية وفنية في سورة النحل» للطالب أسامة عبد المالك إبراهيم عثمان، للنيل الى درجة الماجستير بجامعة النجاح الوطنية بعام ٢٠٠١م.
- رسالةجامعية بعنوان: «دراسة أسلوبية في سورة مريم» للطالب معين رفيق أحمد صالح، للنيل الى درجة الماجستير بجامعة النجاح الوطنية بعام ٢٠٠٣م.

كما أننا حصلنا علي دراسات أسلوبية في الشعر العربي لمختلف عصورها أيضاً، منها:

- رسالة بعنوان: «لغة الشعر عند الصعاليك قبل الإسلام دراسة لغوية أسلوبية» للباحث وائل عبد الأمير خليل الحربي لنيل درجة الماجستير بجامعة بابل، عام ٢٠٠٣م.
- رسالة بعنوان: «شعر بشر بن أبي خازم دراسة أسلوبية» للطالب سامي حماد الهمص، بجامعة الأزهر بغزة، عام ٢٠٠٧م.
- رسالة بعنوان: «شعر أبي ذؤيب الهذلي دراسة بلاغية أسلوبية» للطالب محمد بن سعيد بن إبراهيم اللويمي للنيل الى درجة الماجستير بجامعه الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بعام ١٤٢٣هـ.

ولكن بالنسبة الى سورة «الحجر» الكريمة فلا نكاد نحصل علي دراسة لغوية أو أسلوبية وافية للموضوع فيها ، ولذلك وجهنا اهتمامنا نحن لدراستها ، فبعد التعرف علي الأسلوب والأسلوبية وأهم اتجاهاتها سنقوم بدراسة هذه السورة في مستويات مختلفة أهمها : الصوتية ، التركيبية ، ومستوي الصورة وفي نهاية البحث سنورد خاتمة نضمنها أهم نتائج هذا البحث .

٢ـ الأسلوبية ودلالتها

«علم الأسلوب هو الذي يطلق عليه في الإنجليزية (Stylistics) وفي الفرنسية (La Stylistique)، والباحث فيه هو (Stylistician) ، وكلمة (Style) تعني طريقة الكلام ، وهي مأخوذة من الكلمة اللاتينية (Stylas) بمعني عود من الصلب كان يستخدم في الكتابة ، ثم أخذت تطلق علي طريقة التعبير عند الكاتب » . (عبد المطلب، ١٩٩٤م، ص١٨٥) وهكذا يمكننا القول إنّ الأسلوب هو طريقة الكاتب في تشكيل المادة اللغوية ، وعلي هذا الاعتبار يمكننا أن نعرّف الأسلوبية علي أنها منهج نقدي حديث ، يتناول النصوص الأدبية بالدراسة ، علي أساس تحليل الظواهر اللغوية والأسلوبية لكشف

الظواهر الجمالية للنصوص ، وتقيّم أسلوب مبدعها ، محددةً المميزات الأسلوبية التي يتميز بها عن غيره من المبدعين .

وهكذا تبدو أهمّ سمات المنهج الأسلوبي من خلال :«استكشاف العلاقات اللغوية القائمة في النص ، والظواهر المميزة التي تشكل سمات خاصة فيه ، ثمّ محاولة التعرّف علي العلاقات القائمة بينها وبين شخصية الكاتب ، الذي يشكل مادته اللغوية وفق أحاسيسه ومشاعره التي تجعله يلحّ علي أساليب معينة ، ويستخدم صيغاً لغوية تشكل في مجملها ظواهر أسلوبية لها دلالتها في النصّ الأدبي». (عودة، ١٩٩٤م، ص٩٩)

إذاً فالأسلوبية «تتجاوز مجرّد نقل المعني الى عمق الاستعمال اللغوي المتمثل في وضع الكلمات في أنساق معينة ، وكيفية انتظامها، وانتظام الجمل والمفردات، ورسم الصور ، وانتظام ذلك كله مع المعني، فالكلمة هي مادة التشكيل الفني لدي الأديب». (المصدر نفسه، ص١١٣) .

ومن هنا تأتي أهمية توظيف اللغة في فهم النصّ الأدبي في الدراسات الأسلوبية ، فهي الأداة التي يستخدمها المبدع في تشكيل مادته الفنية ، وعلي هذا الأساس فسوف تكون أداتنا الأولي في دراستنا الأسلوبية هذه هي اللغة بمستوياتها المختلفة ؛ الصوتية ، والتركيبية ، والصورة ، لننفذ من خلالها الى عمق النص القرآني ، آخذين بعين الاعتبار مدي تميزه في تشكيل تلك اللغة وجماليات هذا التشكيل .

ولعلم الأسلوب اتجاهات مختلفة تستخدم فيها المستويات المتعددة للتحليل اللغوي منها :

المستوي الصوتي.

- **المستوي التركيبي** .
- **مستوي الصورة** .

ولكلّ من هذه المستويات صفات تميزه عن الآخر وتساعد الناقد في كشف جماليات النصّ وتعين المتلقي في فهم أسرار النصّ.

٣ـ تطبيق المستويات الأسلوبية علي سورة "الحجر"

وفي هذا المجال درس البحث تطبيق المستويات الأسلوبية التي ذكرناها آنفا علي سورة «الحجر» مبتدئين بالمستوي الصوتي، ثم عابرين الى المستوي التركيبي ومنتهين بمستوي الصورة في هذه السورة المباركة .

١ـ٣ـ المستوي الصوتي في سورة "الحجر"

لا ينكر عاقل أثر الموسيقي والنغم في شدّ المتلقي وجعله أكثر انتباهاً وأشدّ إصغاءً ، بل إنّ موسيقي الشعر هي أجمل ما فيه من عناصر وللشعر نواح عدّة للجمال ، أسرعها الى نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ ، وانسجام في توالى المقاطع وتردد بعضها بعد قدر معين منها ، وكلّ هذا هو ما نسميه بموسيقي الشعر . (أنيس، ١٩٧٢م، ص١٣)

أمّا بالنسبة الى القرآن الكريم فلن نجد نصوصاً توافرت فيها الاتفاقات ـ بين جميع مستويات اللغة ـ كنصوص القرآن الكريم ، وسوره وآياته ، إذ تركت طريقة القرآن في التعبير تأثيرها علي المتلقين وأثارت انتباههم ، حتي لم يكن لمن يسمعه بدّ من الاسترسال اليه والتوفر علي الإصغاء له . فإنه إنما يسمع ضرباً خالصاً من الموسيقي اللغوية في انسجامه ، واطراد نسقه واتزانه علي أجزاء النفس ، مقطعاً مقطعاً ، ونبرة نبرة ،كأنها توقّعه توقيعاً ولا تتلوه تلاوة (الرافعي، ١٩٩٧م، ص١٦٧) .

ويبدو الإيقاع الموسيقي واضحاً في القرآن الكريم ، ولكنّ لهذا الإيقاع طريقته الخاصة التي تختلف عن الشعر المقيّد بالأوزان والقوافي ، فهو خاص بالقرآن وحده ، إذ هو إيقاع في نطاق التوازن ، لا إيقاع في نطاق الوزن ، فالوزن في العربية للشعر، والتوازن في الإيقاع للنثر، والذي في القرآن إيقاع متوازن لا موزون (حسان، ١٩٩٣م، ص ٢٦٩) ويؤدي هذا الإيقاع دوراً

فاعلاً في تكثيف المعني ، وزيادة طاقاته التعبيرية ، من خلال انسجامه مع أجواء النصوص ومعانيها ، إذ يعبّر القرآن عن المعني بالألفاظ ، ويختار من هذه الألفاظ ما كانت أصواتها متناغمة مع معانيها ، ومجسّدة لها (رفيق أحمد صالح، ٢٠٠٣م، ٥).

وهكذا يكون «النسق القرآني قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعاً. فقد أعفي التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة؛ فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة. وأخذ في الوقت ذاته من الشعر الموسيقي الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن» . (قطب، ١٩٨٣م، ص ١٠٢)

وقد برز الإيقاع في أكثر آيات القرآن الكريم ، ولا يحتاج الباحث الى عناء كبير ليثبت أن اتزان الإيقاع في الآيات والفواصل شيء يقصد اليه القرآن قصداً ، دون أن يكون ذلك بالطبع علي حساب المعني المطروح . فهناك ألفاظ كثيرة لها صلة وثيقة بدلالتها أي يكون في اللفظ إيحاء بالمعني فقد يأتي اللفظ مفرداً فيرسم في الذهن صورة المعني تارة بجرسه الذي يلقيه في الآذان وتارة بظله الذي يلقيه في الخيال وتارة بالجرس والظل بمعني أن الصوت «يحقق الوصول الى أغراض إيحائية الطبيعية التي تضيف الى المعاني العرفية للألفاظ أبعاداً إضافية ما كان لها أن تتحقق لولا ما تحمله حكاية الصوت من طاقة إيحائية وتتضح الطاقة الإيحائية للصوت». (حسان، ١٩٩٣م، ص ٢٩٣)

ولا يكفي النظر الى آيات القرآن الكريم مكتوبة حتي نتذوق أصواتها ، بل لا بدّ من تلاوتها ، حتي نقف علي روعة بنائها الصوتي والموسيقي ، ولا تقتصر أهمية السماع علي القرآن الكريم فحسب ، فإنّ الشعر ـ علي سبيل المثال ـ يفقد من جماله الشيء الكثير إذا لم يتمّ إنشاده بنغمة موسيقية تناسبه .

وبشكل عام فـ«إنّ اللغة المحكية هي التي تمثّل فقط انعكاسات الأصوات». (طحان،١٩٨١م، ص٦٤) وفي الكلام المسموع ما ليس في المكتوب من إظهار للتعبيرات المصاحبة للكلام ولهذا كانت دراسة الكلام المنطوق المسموع مقدمة لا بدّ منها لدراسة الأنظمة (القواعد) اللغوية أو بعبارة أخري لدراسة اللغة نفسها. (حسان، ١٩٧٩م، ص٤٧)

١-١-٣-١- البناء الصوتي للكلمات

إن من نافل القول العلم بدقة القرآن الكريم في اختبار ألفاظه وفي ذلك يقول الجاحظ : «ألا تري أن الله تبارك و تعالى لم يذكر في القرآن «الجوع» إلا في موضع العقاب أو في موضع فقر المدقع والعجز الظاهر والناس لا يذكرون «السغب» ويذكرون «الجوع» في حالة القدرة والسلامة وكذلك ذكر «المطر» أنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث» (الجاحظ، ١٩٤٨م، ج١، ص ٣٤)، وليس يخفي ارتباط مستويات اللغة المختلفة ببعضها ، وتعتبر دراسة المستوي الصوتي الخطوة الأولي لدراسة المستويات الأخري ، فعلي سبيل المثال، لا يمكن دراسة الصرف دراسة صحيحة إلا بالاعتماد علي الوصف الصوتي. (هلال، ١٩٩٦م، ص ١٥)

كما تبدو العلاقة واضحة بين جانبي الدلالة والصوت ، فهما يتكاملان معاً ويتطابقان في السورة ، فبعض الدلالات كانت تستدعي نوعاً معيناً من الأصوات ، كما أنّ بعض الأصوات كانت تعبّر عن نوع معيّن من الدلالات ، « علي أنّ هناك نوعين من النسيج في العمل الأدبي : أحدهما هو النسيج الصوتي والآخر هو النسيج الدلالي . وهما لا يحتاجان عادة الى التطابق سوي في الأدب ». (فضل،١٩٩٢م، ص٩٣) .

وتعدّ الكلمات أو الألفاظ من الأهمية بمكان في دراسة النصوص ، لأنّها تمثّل الوحدات الصغري التي يتشكل منها النص، وإن دراستها ودراسة دلالتها وخصائص استعمالها تقودنا الى الخروج بتصور واضح عن البنية الكلية ، أي عن الوحدة الكبري التي هي (النص) أو السورة ، فلا يستغني إذن عن دراسة الألفاظ في محاولة فهم النصّ ، «وليس ثمة ما يثير الدهشة أو الغرابة في هذه المكانة التي تنفرد بها الكلمات، فهي أصغر نواقل المعني أو أصغر الوحدات ذات المعني في الكلام المتصل».

(أولمان، د.ت، ص١٩)

وللألفاظ في القرآن الكريم مكانة خاصة، إذ هي تنفرد عن غيرها بدقة متناهية وهي تنسجم تمام الانسجام مع السياق الذي ترد فيه ، بحيث لوحاولتَ أن تَستبدلَ بكلمةٍ ما كلمةً أخري ، لاختلّ المعني ، لذا فإنّ ألفاظ القرآن الكريم تقع في ضمن الأسلوب البياني الرائع ، ونعتقد مؤمنين أنّ كلّ لفظ في القرآن له معني قائم بذاته وفيه إشعاع نوراني يتضافر مع جملته.

(أبوزهرة، ١٩٧٠م، ص١٠٤)

ويحار المتأمل في معاني هذه السورة من هذه الدقة التي تميز ألفاظها ، فهي تؤدي المعني بطريقة فريدة ، وكأنّ هذه الألفاظ خلقت لهذه المعاني ، ومن سمات ألفاظ سورة (الحجر) ومميزاتها هي : الدقة في الاختيار ، إذ تعتبر سمة بارزة وعامة ، ومن مظاهر هذه الميزة في السورة أيضاً هي أنّه لا يمكن استبدال لفظ بغيره دون أن يختلّ المعنَي ، لأنك لو حاولت أن تستبدل بلفظ القرآن لفظاً آخر من عندك لن تجده يعبّر عن المعني بالدقة نفسها التي يعبّر عنها لفظ القرآن ولن تعثر فيه علي تلك الإحاطة بالمعني من جميع الجهات وكافّة الجوانب (رفيق أحمد صالح، ٢٠٠٣م، ٢٠).

ومن عجيب نظم القرآن ودقة اختياره ، أنّه يختار من صيغ الجمع المختلفة ، تلك الصيغة التي تنسجم مع السياق وتتفّق مع المعني. ومثال ذلك في السورة كلمة (العباد) التي وردت في الآية: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ ﴿سورة الحجر١٥: ٤٢﴾، ونلحظ أنّ القرآن استخدم صيغة الجمع (العباد) في هذا المقام ولم يستخدم صيغة (العبيد). وقد ورد لفظ (العباد) في القرآن الكريم نحواً من سبع وتسعين مرّة (الأصفهاني،١٩٩٧م، مادة «ع ب د») ، وهو في معظمها صريح في دلالته علي الطاعة وإخلاص العبودية لله ، أمّا لفظ (العبيد) فقد جاء في القرآن خمس مرّات فقط ، في سياق نفي صفة الظلم عن الله حين يحكم بإدخال الكافرين الى النار ، كمثل قوله تعالى: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ﴿سورة ق٥٠: ٢٩﴾

ومن الفروق بين الجمعين ، ما ذكره ابن جنّي إذ قال أنّ: «أكثر اللغة أن تستعمل (العبيد) للناس ، و(العباد) لله » (ابن جني، ١٩٦٩م، ص٨٩)، أي نقول: عبيد الناس ، وعباد الله، والتفت باحثون الى العلاقة بين التركيب الصوتي لكلا الجمعين ، وبين معني كلّ منهما ، من حيث اختيار اللفظ المنسجم بأصواته للمعني المرموز اليه ، فجاءت لأجله كلمة (عباد) في القرآن وصفاً للمسلمين العابدين لله سبحانه وتعالى ، بينما جاءت (العبيد) وصفاً للكافرين .

وبرّروا ذلك بقولهم : أنّ الانتقال في (عباد) من الكسرة الى الفتحة ثمّ الاستطالة بالألف ـ الموحية بالعزّة والرفعة والمنتصبة القامة ـ يشير الى هذه العزّة والرفعة التي نلحظها في حياة العباد المؤمنين المطيعين لله، بينما الانتقال في (عبيد) من الفتحة الى الكسرة فالاستطالة بالياء ـ التي جاءت وسط الكلمة منبطحة ملقاة بذلة ـ يوحي بانكسار النفس، واستغراقها في الذّلّ، ومهانتها باستعباد الناس لها. (الخالدي، ١٩٩٢م، ص٥٨)

٢-١-٣- الموسيقي الناتجة عن تردد الأصوات

يسهم التكرار في السورة - سواء أكان تكراراً للحرف أو الكلمة - في تشكيل الأنغام الحسنة ، ويزيد من الإيقاع الجميل والمتميز في آياتها، ويكسبها انسجاماً موسيقياً ، و« الانسجام هو أن يكون الكلام لخلوه من الانعقاد متحدراً كتحدّر الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة، والقرآن كله كذلك ». (السيوطي، د.ت، ص ٢٦٠)

فضلا عن المعاني التي يؤديها الإيقاع من خلال تناسقه مع جوّ الآيات ودلالتها ، ووقد أشار الرافعي الى ذلك قائلا: «لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها ، ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر، والشدة والرخاوة، والتفخيم والترقيق ، والتفشي والتكرير وغير ذلك». (الرافعي، ١٩٩٧م، ص ١٦٩)

وعلي الرغم من وضوح ظاهرة الإيقاع الموسيقي في القرآن فإنّها لم تحظ بالعناية المعمقة من+++ القدماء ، فذهب السيد قطب الى أن «حديثهم عنها لم يتجاوز ذلك الإيقاع الظاهري ؛ ولم يرتق الى إدراك التعدّد في الأساليب الموسيقية ، وتناسق ذلك كله مع الجوّ الذي تطلق فيه هذه الموسيقي». (قطب، ١٩٨٣م ، ص٨٧)

وقد عملنا علي تتبع تكرار بعض الأصوات والحروف في السورة ، محاولين الكشف عن العلاقة التي تربط بين هذه الأصوات وبين الجوّ الذي وردت فيه كما يأتي والجدير بالذكر أن هذا المنهج متوخي من منهج الكاتب رفيق أحمد صالح في دراسة سورة مريم دراسة أسلوبية (٢٠٠٣م، ٢٤- ٣٠):

قد منحت أصوات المدّ الكثير من الوضوح والإبانة للكلام الذي يأمر الله نبيه أن يقوله ويؤكد علي أنه منذر لا يسأل الناس أجراً وهذه أظهر الأصوات وضوحاً في اللغة العربية .كقوله تعالى: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا

مُّنظَرِينَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٨﴾، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٩﴾.

وقد تؤدي أصوات الحركات غرض المبالغة والتعظيم ، من خلال ما تتميز به من مدّ ، وأكثر ما يبرز غرض التعظيم في الآيات التي يكون ضمير المتكلم فيها عائداً علي الله سبحانه حيث يكون دور أصوات الحركات هو الإسهام في تجسيد عظمة الخالق، وإظهار قدرته التي لا تحدّ (رفيق أحمد صالح، ٢٠٠٣م، ٢٤) ؛ كما في الآية : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٩﴾ وزاد في الآية من درجة التعظيم مجيء ضمير الجماعة للمتكلم الذي يعود علي الله ، إذ يزداد الكلام عظمة بسبب صوت نون الجماعة المقترنة بصوت الفتحة الطويلة في كلمة (إنّا) . ومثل هذا الإحساس بعظمة المتكلم نراه في قوله تعالى: ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٧٩﴾، ﴿ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٨١﴾ فقد منحته أصوات المدّ هيبة ووقاراً ، وزادته عظمة وجلالاً. ويبرز جوّ التعظيم في قوله تعالى: ﴿ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٦٤﴾ من خلال أصوات حركات الفتحة الطويلة .

وقد يظهر جوّ السكينة والهدوء بأصوات المدّ (٢٧) ؛ كما تجلي هذا الجوّ في هذه الآيات : ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٤٦- ٤٧﴾ وهذه بيان عن أهل الجنة وعن النعيم الذي يقيمون فيه فقد جاء التعبير في غاية الهدوء والسكينة.

وهناك صوت النون الذي ذكره القدماء مع الميم واللام والراء في الأصوات الذلقية . وهذا الصوت يأتي ذو الوضوح السمعي المميز في الآيات ليزيدها وضوحاً ورنيناً ، فعلي مستوي الإيقاع لا شكّ أنّه يمّل رنّة ، تحدث قوة إسماع ، حاملة ترديداً زمنياً طويلاً (كشك، ١٩٨٣م، ص١٣) بالإضافة الى صوت الغنّة الموسيقي في هذا الحرف وليست الغنة إلا إطالة صوت النون مع

تردد موسيقي محبب فيها. ولنتأمل كيف تجلت هذه الخصائص الموسيقية لصوت النون في قوله تعالى:﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾﴿سورة الحجر ١٥: ٤٩﴾، وقوله سبحانه: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾﴿سورة الحجر ١٥: ٤٧﴾، فقد نشأ عن تردد هذا الصوت نوع من الموسيقي ترتاح اليه الأذن وتميل اليه . ونلحظ وضوحاً صوتياً شديداً ورنيناً مدوياً في أكثر الآيات التي يشيع فيها صوت النون ، وذلك يضاعف من قوّة إسماع الكلمات ، ويجعل للآية إيقاعاً حاسماً جلياً يتواءم مع جلاء معناها ، كما في قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾﴿سورة الحجر ١٥: ٣٦ ـ ٣٧﴾، ونجد لصوت الغنّة إيقاعاً حانياً يتواءم مع الحنّو من لدن الله الممنوح لإبليس الذي أراد منه الإنظار الى يوم القيامة مع أنه أبي أن يسجد علي آدم (عليه السلام) ، مخالفاً أمر الله تعالى.

ويبرز صوت النون في مقام التهديد ، وفي سياق الوعيد ، فيزيد من حدّتهما ويضاعف من وقعهما علي النفوس ويساهم مع أصوات أخري في التعبير عن الغضب المجلجل ، كما في قوله تعالى:﴿ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾﴿سورة الحجر ١٥: ٨٩﴾، فقد كان لصوت النون رنين ووقع يصمّان الآذان من شدتهما ، ويزلزلان النفوس ، وكذلك الأمر في الآية: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾﴿سورة الحجر ١٥: ٧٩﴾.

وفي الصوت تجدر بنا الإشارة الى الأصوات المفخمة ؛ يعرف التفخيم بأنّه «ارتفاع مؤخر اللسان الى الأعلي قليلاً في اتجاه الطبق اللين ، وتحركه الى الخلف قليلاً في اتجاه الحائط الخلفي للحلق» (عمر، ١٩٧٦م، ص٢٨٣)، وتتمثل المجموعة الصوتية المفخمة في نوعين :

الأول : الأصوات المطبقة وتشمل أصوات: (الضاد، الصاد، الطاء، الظاء)، وهي أصوات كاملة التفخيم، فيها مع استعلائها إطباق.

الثاني : الأصوات ذات التفخيم الجزئي، وهي أصوات لا إطباق فيها مع استعلائها، وتشمل أصوات: (الخاء، الغين، القاف).

وتسهم الأصوات المفخمة بإيقاعاتها القوية في تجسيد ضخامة الحدث في العذاب الواقع علي قوم لوط في قوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٦٦﴾ وكان لصوت (الصاد) و(القاف) و(الضاد) و(الطاء) إيقاع علي هيبة ذاك العذاب.

ولنتأمل هذه الآية الكريمة: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٨٣﴾ كان لصوت (الخاء) و(الصاد) دال علي هيبة هذه الصيحة وكيف يعبّر عنه ويناسبه الإيقاع المفخم في الخاء والصاد.

وحين ترافق أصوات التفخيم الأحداث الضخمة فهي تصور بإيقاعاتها الضخمة ضخامتها وعظمتها حتي لكأنها تنقل صوت هذه الأصوات كما تنقل الألفاظ معانيها كما في الآية الكريمة: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٨٥﴾ فقد عبر سبحانه وتعالى عن خلقه السماوات والأرض بالحق وبذلك يؤكد علي بطلان زعم الكافرين بأن خلقها باطل ولما كان هذا الظنّ الباطل بهذه الضخامة وكان خلق الله تعالى إياها بالحق فقد رافقت التعبير عنه أصوات التفخيم والاستعلاء في (خَلَقْنَا، السَّمَاوَاتِ ، الأَرْضَ ، بينهما).

٣-٣- المستوي التركيبي

وهنا نهتمّ بأهم الظواهر الأسلوبية في سورة (الحجر) ومنها:

١- ٣-٣- الاستفهام

ينفي أسلوب الاستفهام الرّتابة عن النصّ ، لأنه يعدّ شكلاً من أشكال التنوّع في الأساليب ، والانتقال من الخبر الى الإنشاء كما أنه يدفع المخاطبين

الى التفكر والتأمّل (رفيق أحمد صالح، ٢٠٠٣م، ١٠٦). ورد الاستفهام في السورة وقد خرجت عن الاستفهام الحقيقي الى تحقيق أغراض بلاغية أخري كالإنكار والتوبيخ و..كالآية هذه: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٣٢﴾ الهمزة للاستفهام التوبيخي. كما في قوله: ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٧٠﴾ وهذا كلام قوم لوط له نقله الله تعالى في كتابه الكريم ، أوقوله تعالى ﴿ قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٥٤﴾ ففي الاستفهام هنا معني التعجب إذ يتعجب إبراهيم أن يصبح ذا ولد وهو في سن الشيخوخة .

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٥٦﴾ الاستفهام للنفي، أي لا يقنط من رحمه الله إلا الضالون.

٢ـ ٣ـ ٣ـ التضاد:

ولاستعمال التضاد في السورة دلالات مختلفة منها أنّ التضاد يفيد معني العموم كما في الآية ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٨٥﴾ بين (السماء) و(الأرض) أي هو ربّ كلّ شيء وخالقه . أو قوله تعالى :﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٢٤﴾

قد يدلّ التضاد علي الدوام والاستمرارية وعدم الانقطاع كما في التضاد بين الإحياء والإماتة اللتين في يد الله سبحانه في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٢٣﴾.

وقد يرد التضاد فيحدث مقارنة بين نقيضين ، ليزيد من الترغيب في أحدهما ، والتنفير من الآخر ، وذلك من خلال استحضارهما معاً ، ولنتأمّل التضاد بين أهل جهنم وأهل الجنة في قوله تعالى :﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ ﴿سورة

الحجر ١٥: ٤٣- ٤٥﴾ أو ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾﴿سورة الحجر ١٥: ٢﴾ واختلف علماء البلاغة في المراد بهذا التعبير وقد قرر النحاة أن ربما لا تدخل إلا على الماضي؟ وما المراد بمعنى التقليل الذي تفيده رب؟ وقد أجيب عن الاول بأن المترقب في اخبار اللّه تعالى بمثابة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود ، وأجيب عن الثاني بأن هذا مذهب وارد على سنن العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الإنسان على ما يفعل ولا يشكون في ندامته ولا يقصدون تقليله والعقلاء يتحرزون من التعرض من المظنون كما يتحرزون من المتيقن الثابت وهذا الجواب جميل ولكن الاجمل منه أن يقال : إن العرب تعبر عن المعنى بما يؤدي عكس مقصوده (الدرويش، ١٩٩٩م، ج ٥ ، ص : ٢١٧).

٤-٣- مستوي الصورة

انحصرت الصورة لدي الباحثين القدماء في التصوير البلاغي، من مجاز واستعارة وتشبيه و..، وأغفلوا أموراً كالتصوير بالحقيقة، حيث يمكن أن يخلو التعبير من المجاز ويكون في الوقت ذاته مشرقاً بالصور الفنية الرائعة . وقد تجاوز النقد الحديث هذا التضييق في مفهوم الصورة الفنية (رفيق أحمد صالح، ٢٠٠٣م، ١٦٨) ؛ «فلم تعد الصورة البلاغية هي وحدها المقصود بالمصطلح ، بل قد تخلو الصورة من المجاز أصلاً فتكون العبارات حقيقة الاستعمال مع ذلك تشكل صورة دالّة علي خيال خصب». (البطل، ١٩٨٣م، ص٢٥)

ويشتمل القرآن الكريم علي التصوير بجميع أشكاله ، ففيه تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخييل...وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقي السياق في إبراز صورة من الصور. (قطب، ١٩٨٣م ، ص٣٧)

٣.٤.١ـ التشبيه

والتشبيه في القرآن وإن كان عنصراً بيانياً يكسب النصّ روعة واستقامة وتقريب فهم ، إلّا أنّه يعود عنصراً ضرورياً لأداء المعني القرآني متكاملاً من جميع الوجوه. (الصغير، ١٩٨١م، ص٣٧)

إذ يتناول التشبيه في الآية: ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٤١﴾، فشبّه الاعتقاد الحقّ في كونه موصلاً الى الهدي بالصراط المستقيم في إيصاله المكان المقصود باطمئنان بال.

ولنتأمل ما يوحي به ذلك التشبيه من دلالات علي صحّة السير والوصول الى الغاية واختصار الطريق ، فالخطّ المستقيم هو أقصر طريق بين نقطتين . ولأنّ القوم كانوا يعيشون في الصحراء التي لا يعرف السفر من خلالها إلا الخبير فإنّ هذه الصورة تلامس أعماقهم فهم يعرفون أن معني أن يسيروا في غير الطريق الصحيحة هو التيه والضياع (رفيق أحمد صالح، ٢٠٠٣م، ١٧١).

كما أن في الآية الإيجاز في قوله تعالى ولعله من أبلغ الايجازات لأنه قسيم الإيجاز بالحذف فهو إيجاز بالتقدير وهو قسمان: الأول : ما ساوى لفظه معناه ، والثاني : ما زاد معناه على لفظه ويسمى بالقصر إذ يدل لفظه على محتملات عديدة ومشتملات كثيرة ولا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها لا بل يستحيل ذلك، فقوله «هذا» اشارة تدل على القرب فكأنه يشير إلى ما هو على مرأى من عيونهم، ومسمع من آذانهم، وبين متناول أيديهم (الدرويش، ١٩٩٩م، ٥: ٢٤١).

٣.٤.٢ـ الاستعارة

تبدو الاستعارة واحدة من أهمّ ألوان التعبير المجازي ، وينظر اليها بالمفهوم الجديد علي أنها « اعتداء وجرح لشفرة اللغة، أي انحراف عن الاستخدام

العادي» (فضل،١٩٩٢م، ص٢٣٨) وهذا الانحراف يشدّ المتلقي وينفي الرتابة عن النص ويمده بوسائل طريفة ومدهشة في التعبير.

في قوله ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٨٨﴾ ، استعارة مكنية.

في قوله ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٩٤﴾، استعارة مكنية فالمستعار منه الزجاجة والمستعار الصدع وهو الشق والمستعار له هو عقوق المكلفين وهو من استعارة المحسوس للمعقول والمعنى صرح بجميع ما أوحي اليك وبين كل ما أمرت ببيانه وإن شق ذلك على بعض القلوب فانصدعت والمشابهة بينهما فيما يؤثره التصديع في القلوب فيظهر أثر ذلك على ظاهر الوجوه من التقبض والانبساط ويلوح عليها من علامات الإنكار والاستبشار كما يظهر ذلك على ظاهر الزجاجة المصدوعة فانظر الى هذه الاستعارة ما أروعها وما أبعد دلائلها ومراميها وما أوجزها لأنها وقعت في ثلاث كلمات انطوت على ما يستوعب الصفحات (الدرويش: ١٩٩٩م، ٥: ٢٥٦).

في قوله ﴿ لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٧٩﴾ استعارة تصريحية لأن الطريق سبيل للوصول والمسافر فيه يتبعه حتى النهاية فاستعمل المشبه به بدلا عن المشبه.

وكذلك هناك استعارة تمثيلية في قوله تعالى:﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٢١﴾ فقد شبه ما ينتفع به العباد جميعا لا المطر وحده كما قال بعضهم بالخزائن التي تودع فيها المكنونات والمخبآت لإخراج كل شيء بحسب ما اقتضته الحكمة الإلهية ومصالح العباد الحيوية.

وهناك استعارة مكنية في تشبيه الرياح باللواقح وهي النوق لتوليد المطر (الدرويش، ١٩٩٩م، ج٥، ٢٥١).

٣-٤-٣- المجاز

يحصل المجاز حين لا يتمّ استعمال الألفاظ علي أسلوب الحقيقة فإذا «عدل باللفظ عمّا يوحيه أصل اللغة وصف بأنّه مجاز علي معني أنّهم جازوا به

موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي فيه أولا». (الجرجاني، د.ت، ص٣٤٢)

في قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٧٨﴾ مجاز مرسل علاقته الحالية لأن الأيكة هي شجر ملتف مزدحم.

٣.٤.٥ـ التصوير المعتمد علي الواقعية

لا يقلّ التصوير المعتمد علي الواقعية أهمية عن التصوير البلاغي، وهو يتكامل معه ليوسعا دائرة التصوير الفني.

لنتأمل هذا المشهد الخاطف: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٦٦﴾، إذ جاء التعبير عن عذاب الله لقوم لوط مختصراً وسريعاً وخاطفاً ، حتي ليستطيع السامع أن يتصور ذلك اليوم ويتخيله . ويصور للسامع ما وقع علي الأقوام السابقة الذين هلكوا وعند هلاكهم كانوا ينادون ويستغيثون ولكن لم يكن لهم ملجأ ومفرّ. وبطريقة التصوير المعهودة راح الله سبحانه وتعالى يعرض علي السامع مشاهد محسوسة للأقوام الهالكين قبلهم ، أين غدوا ؟ وكيف انتهوا ؟

أو عندما يريد الله أن يصور لنا حال المتقين في الجنة ويبين أنّ المتقين في جنات يتكئون ولهم فواكه وشراب وقاصرات الطرف ولهم فيها كلّ اللذات يقول تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٤٧﴾.

٣.٤.٦ـ الإطار القصصي

امتدّت السورة وتحولت الى مجموعة من المشاهد حددت علي مستوي الأسلوب الإطار القصصي وعلي مستوي المضمون موضوع لطف الله ورحمته بكلّ الأنبياء قبل الرسول (ﷺ) وعلي النبي محمد (ﷺ) أن يتأسّي بهذه القصص ويذكرها ويصبر علي ما يقوله الكافرون والمشككون . وأولاً

يخاطب الله رسوله بقوله الكريم: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ١٠﴾.

أول قصة في السورة هي قصة خلق آدم (عليه السلام) واستكبار إبليس أمام الله وعدم سجدته وخضوعه لآدم (عليه السلام) وإخراجه من الجنة وطلبه الإنظار من الله وقسم إبليس أن يغوي الناس أجمعين إلا عباد الله المخلصين ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٢٨-٣١﴾.

بعد قصة خلق الإنسان وما جري من استكبار الشيطان و... هناك إشارة الى ضيف إبراهيم : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٥٢﴾، وبشارة الملائكة إياه بغلام.

كما أن هناك إشارة الى ما جري علي لوط وقومه الذين لم يطيعوه وأنزل الله تعالى عليهم عذابه وذهب بكلهم أجمعين وأصبح دابرهم مقطوعاً.

في مواصلة ذكر الله تعالى من الأنبياء والرسل بأن قومهم كذبوهم أشار الله سبحانه الى أصحاب الأيكة : ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥:٧٨- ٧٩﴾، كما ذكر أصحاب الحجر ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٨٢-٨٤﴾.

وبعد الإشارة الى كل هذه الأقوام وبيان حالهم قال الله تعالى مخاطباً رسوله (صلى الله عليه وآله) : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٩٥﴾، ثم يضيف تعالى مسلياً رسوله: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٩٧-٩٩﴾. وكأن

أسمي الأغراض من هذه القصص إنشاء العقيدة الدينية وموطن هذه العقيدة الخالدة هو الضمير والوجدان فلم يكن الداعي الى الاستمساك بالصبر والاعتصام به مجردا لقداسته الدينية ولكن اتساع الآفاق النفسية وانفتاح منافذ المعرفة أمام النفس (الدرويش١٩٩٩م، ٥: ٢٥٩).

٧-٤-٣- أسلوب الحوار

الحوار، من أبرز الأساليب الحكمية والبليغة التي استعملها القرآن الكريم في إقامة الأدلة علي وحدانية الله وعلي صدق الرسل الكرام. وهو من المسائل الأدبية المعروفة إذ هو محرك للأحداث في النص القصصي وهو روح تسري في كيان النص تصور شخصياته وبالحوار يتصاعد الصراع ليؤدي الهدف المقصود (الزوبعي، ١٩٩٦م، ص ٢٠٧).

وفي السورة حوار جري بين الله تعالى وإبليس عندما خلق الله سبحانه آدم (عليه السلام) وأمر الملائكة أن يسجدوا له واستكبر إبليس قال تعالى له: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٖ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ ﴿سورة الحجر ١٥: ٣٢-٤٢﴾

كما أنّ هناك حواراً جري بين إبراهيم (عليه السلام) وضيوفه من الملائكة ، إذ جاؤوا اليه ليبشّروه بغلام عليم ويتعجب إبراهيم من بشارتهم مع أنه في كبر سنه ﴿سورة الحجر ١٥: ٥٣- ٥٨﴾.

كما أن هناك حواراً جري بين لوط النبي (عليه السلام) وقومه إذ أراد منهم ألا يفضحوه بضيوفه ﴿الذين كانوا ملائكة ولم يكن أحد عارف بذاك الأمر﴾

ولكن قومه وبخوه لأنه لم يخبرهم عن أولئك الضيوف ﴿سورة الحجر ١٥: ٦٨-٧١﴾.

وفي هذه الحوارات في السورة دروس كبيرة لمن يتأمّل فيها ، منها : أنّ علي الإنسان ألا يقنط من رحمة الله تعالى ، وأن الاستكبار أمام الله تعالى وعدم إطاعة أوامره سبحانه يؤدي الى غضب الله علي المستكبر والدخول الى جهنم.

الخاتمة:

بع هذا العرض الشيق فإن من أهم ما حصل في البحث بعد دراسة المستويات الأسلوبيه لسورة (الحجر) هو أن:

- هذه الدراسة كشفت لنا أبعاد القرآن الجمالية في السورة المذكورة أكثر فأكثر؛ فأظهرتْ لنا بعضَ الأسرار الخفية فيها.
- الدراسة بجانبها الصوتي للسورة دلّتنا علي وجود توازن مقصود في إيقاعها.
- لو كان لكلّ صوت في السورة دلالة خاصة علي المعاني لدلّ أيضاً علي كون القرآن في أعلي حد الإعجاز وفوق كلام البشر.
- إنّ ألفاظ السورة تميزت بالدقة في الاختيار بحيث لو اختير لفظ آخر لاختل المعني المقصود.
- إنّ القرآن اختار التعبير بالصورة عن المعاني المقصودة فنقل لنا الأفكار والمعاني بصورة حسية ومن هذا المنطلق نعثر علي التصوير الواقعي والتصوير البلاغي.
- تتمركز الظواهر الأسلوبية في السورة بشكل متناوب نوعاً ما حول الأفكار الرئيسية التي اشتملت عليها السورة ومنها الصبر، وطاعة الله ورسوله.

قائمة المصادر و المراجع

إن خير مانبتدأ به القرآن الكريم.

- أنيس. إبراهيم. (١٩٧٢م). **موسيقي الشعر**. ط٤. بيروت: دار القلم.

- أولمان. ستيفن. (د.ت). **دور الكلمة في اللغة**. ترجمة: كمال بشر. ط١٢. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.
- الباقلاني. أبوبكر محمد بن الطيب. (د.ت). **إعجاز القرآن**. حققه: السيد أحمد صقر. ط٣. مصر: دار المعارف.
- البطل. علي. (١٩٨٣م). **الصورة في الشعر العربي حتي آخر القرن الثاني الهجري،دراسة في أصولها وتطورها**. ط٣. بيروت: دار الأندلس.
- الجاحظ، عمرو بن عثمان. (١٩٤٨م). **البيان و التبيين**. تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة: د.ن.
- الجرجاني. عبد القاهر. (د.ت). **أسرار البلاغة في علم البيان**. شرحه: السيد محمد رشيد رضا. بيروت: دار المعرفة.
- ابن جنّي. أبوالفتح عثمان. (١٩٦٩م). **المحتسب**. تح: علي النجدي الناصف وعبد الفتاح شلبي. القاهرة: المجلس الأعلي للشؤون الإسلامية.
- حسان. تمام. (١٩٩٣م). **البيان في روائع القرآن**. القاهرة: عالم الكتب.
- الخالدي. صلاح عبد الفتاح. (١٩٩٢م). **لطائف قرآنية**. دمشق: دار القلم.
- الدرويش. محيي الدين. (١٩٩٩م). **إعراب القرآن الكريم وبيانه**. ط٦. بيروت ـ دمشق: دار الميامة ـ دار ابن كثير.
- أبوديب. كمال. (١٩٨٤م). «**الأسلوبية**». مجلة فصول. مج٦. ع١.
- الرافعي. مصطفي صادق. (١٩٩٧م). **إعجاز القرآن والبلاغة والنبوية**. القاهرة: دار المنار.
- الراغب الأصفهاني. الحسين بن محمد بن المفضل. (١٩٩٧م). **معجم مفردات ألفاظ القرآن**. بيروت: دار الكتب العلمية.
- رفيق أحمد صالح، معين. (٢٠٠٣م). «**دراسة أسلوبية في سورة مريم**». بجامعة النجاح الوطنية.
- الزمخشري. محمود بن عمر بن محمد. (١٩٩٥م). **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. صححه: محمد عبد السلام شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الزوبعي، طالب محمد إسماعيل. (١٩٩٦م). **من أساليب التعبير القرآني**. بيروت: دار النهضة العربية.

- أبو زهرة. محمد. (١٩٧٠م). **المعجزة الكبرى القرآن**. القاهرة: دار الفكر العربي.
- السيوطي. جلال الدين. (د.ت). **الإتقان في علوم القرآن**. تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم. ط٣. القاهرة: دار التراث.
- شاهين. عبد الصبور. (١٩٨٠م). **المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي**. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الصغير. محمد حسين علي. (١٩٨١م). **الصورة الفنية في المثل القرآني، دراسة نقدية وبلاغية**. بغداد: وزارة الثقافة والإعلام.
- طحان. ريمون. (١٩٨١م). **الألسنية العربية**. ط٢. بيروت: دار الكتاب العربي.
- عبد المطلب. محمد. (١٩٩٤م). **البلاغة و الأسلوبية**. ط٢. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
- عمر. أحمد مختار. (١٩٧٦م). **دراسة الصوت اللغوي**. القاهرة: عالم الكتب.
- عودة. خليل. (١٩٩٤م). **المنهج الأسلوبي في دراسة النصّ الأدبي**. مجلة النجاح للأبحاث. المجلد٢. العدد٨.
- فضل. صلاح. (١٩٩٢م). **علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته**. القاهرة: مؤسسة مختار للنشر والتوزيع.
- قطب. سيد. (١٩٨٣م). **التصوير الفني في القرآن**. ط٨. القاهرة: دار الشروق.
- كشك. أحمد. (١٩٨٣م). **من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي**. دار السلام: مطبعة المدينة.
- مصلوح. سعد. (١٩٨٤م). « **الأسلوبية ـ ضمن مهرجان شوقي وحافظ الذي أقيم بالقاهرة سنة ١٩٨٢م**». مجلة فصول. مج٥. ع١.
- هلال. عبد الغفار حامد. (١٩٩٦م). **أصوات اللغة العربية**. ط٣. القاهرة: مكتبة وهبة.
- ـــ . (١٩٧٩م). **اللغة العربية معناها ومبناها**. ط٢. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.